

## لا مستقبل بدون ذاكرة

الاتحاد الاشتراكي - الأربعاء فاتح شوال 1413 الموافق 24 مارس 1993

ابراهيم الباعمراني

سعيد حجي أحد مؤسسي الصحافة الوطنية... ورائد النهضة المغربية في الثلاثينات  
إن هاجس سعيد حجي تأسيس ثقافة وطنية مغربية تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

يعد سعيد حجي ( 1912 - 1942 ) من أبرز المثقفين في أواخر الثلاثينات؛ جمع بين الثقافي والسياسي في نضالاته وأنشطته الوطنية. وهو أحد أبناء مدينة سلا تمكن من متابعة دراسته بانكلترا والشرق العربي، وبالخصوص بمصر وسوريا حيث قضى بها أربع سنوات في التحصيل والدراسة والاحتكاك بأعلام الفكر والأدب أمثال عباس محمود العقاد و طه حسين ومحمد حسنين هيكل. وعاد إلى وطنه لمباشرة نشاطه الوطني والفكري والصحفي، منصرفا إلى الاعتماد على نفسه في التكوين والتثقيف. واتخذ من الاشتغال بالصحافة مجالا لتنمية ثقافته ومعلوماته، وتدريبه على ممارسة الكتابة في قضايا سياسية وثقافية واجتماعية... وقد تركز اهتمام سعيد حجي على الصحافة منذ أن كان ابن خمس عشرة سنة، وواصل النضال في إطار كتلة العمل الوطني للمطالبة بالصحافة العربية بالمغرب، مما أدى إلى إصدار بعض الصحف الوطنية، فأصدر جريدته اليومية « المغرب » التي تعتبر أول يومية وطنية بالمغرب، وذلك سنة 1937 كما أصدر في ما بعد ملحقا الثقافي، ومجلة « الثقافة المغربية » بالإضافة إلى ما كان يقوم بنشره من مقالات في مختلف الصحف العربية مهتما بمشاكل المغرب، ومدافعا عن قضيته ضد السياسة الاستعمارية ومخططاتها. لذا كان

اهتمامه بالعمل الصحفي، وإيمانه بالرسالة التي يمكن أن تؤديها في خدمة البلاد، مؤشرا دالا على شعوره بمسؤوليته الوطنية، واعتباره من رواد النهضة المغربية. وفي إطار أنشطته الوطنية التي باشرها منذ أن كان شابا يافعا، أولى الاهتمام للقضية المغربية حين كان يتابع دراسته بالشرق العربي، فعرف بها، ودافع عن قضايا المغرب، وتتبع باهتمام أيضا النهضة العربية، وقارن بين أوضاعها في البلاد العربية والأوضاع في المغرب. وتمكن في أوائل الثلاثينات من تأسيس لجنة مكونة من الطلبة المغاربة تعمل لصالح القضية المغربية، وستتوسع اللجنة بانخراط طلبة المغرب العربي، مما جعلها تصبح على شاكلة جمعية طلبة شمال إفريقيا بفرنسا.

وباعتبار سعيد حجي من الأعضاء البارزين في الحركة الوطنية بسلا، أسهم، كغيره من الوطنيين في مواجهة الظهير البربري فور صدوره، وأسهم في تحرير مطالب الشعب المغربي المستعجلة والتي قدمت إلى الدوائر المختصة في المغرب وفرنسا سنة 1934، فدافع عنها وحلل بنودها في صحيفة « المغرب » .

والتتبع لتفكيره الوطني يلاحظ أن محور كتاباته ارتكز بالأساس على العمل من أجل استقلال المغرب وتحريره من الدخيل الأجنبي، محمدا ذلك في قوله « فاتجاهنا الذي ترمي إليه روحنا الوطنية وتسعى وراءه هو المحافظة على دولتنا المغربية متمتعة بحقوقها المقدسة، ومعيدة تاريخها الزاهر. فكل مغربي مفكر يدرك المسؤولية الملقاة على عاتقه، ومستعد للتضحية التامة في سبيل هذا المبدأ المغربي » .

وبخصوص المسألة الثقافية فإن الهاجس المسيطر على فكر سعيد حجي هو هاجس تأسيس ثقافة وطنية مغربية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ثقافة متفتحة ومتحررة من الطابع الاستعماري لفترة الحماية، قادرة على تطوير المجتمع المغربي وبناء نهضته على أسس سليمة. فقد امن سعيد حجي بأن كل نهضة لا يمكن أن تتركز أسسها إلا إذا وقع الاهتمام بقضية التعليم، ونشر الثقافة بين أبناء المواطنين، فدعا إلى تأسيس المدارس، وطالب بإرسال

البعثات التعليمية إلى الخارج، وحث على إصلاح التعليم الأصيل وتطويره والاعتناء به. وفي منظوره أن الوسيلة الوحيدة لتكوين المثقف المغربي تكويننا صحيحا، وإحداث نهضة فكرية بالمغرب، هي العمل على تكوين مثقفين عارفين بلغتهم الأساس ومطلعين على أسرارها، وفي الوقت نفسه دارسين للغة أجنبية حية، مطلين بها على جوانب الحضارة العصرية.

ويعالج واقع التخلف في عصره، فيلاحظ أن « البون شاسع بين مدينة العصر والحياة التي نحياها » واقترح للخروج من وضعية التخلف الأخذ بأسباب المدينة وغرس جذورها في المجتمع عاما بأن « المدينة تتكون من عنصرين: عنصر أساسي هو ما يشبه العلم في الوسط، وعنصر شعبي هو ما تكونه مجموع التقاليد المحلية. فالعنصر الأول سنقتبسه أين صادفناه بعد أن أضعناه مدة مضت، والعنصر الثاني لا يقتبس من الغير، وإنما يكتشف في الأمة ويعمل على إحيائه واستثماره بمرجه وتفاعله مع العنصر الأول. وبذلك نحيا المدينة المغربية التي ظل نورها يسطع طيلة القرون الوسطى.

تلك كانت بعض النماذج من تفكير سعيد حجي والتي تعطي صورة واضحة عن خصوصية التفكير الوطني في الثلاثينات. وفي رأي ذ. محمد عابد الجابري أن سعيد حجي طرح إشكالية النهضة الفكرية في المغرب طرحا واعيا في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات. وكان النموذج الذي استوحاه في قضية التحديث الثقافي، هو النموذج المشرقي المتمثل في عمالقة الفكر في مصر والشام في هذه الفترة، ومع سعيد حجي، باعتباره أبرز الشبان الواعين في صفوف الكتلة المثقفة أخذت المسألة الثقافية تفرض نفسها كقضية وطنية وكقضية مستقبل.

لقد كان فكر سعيد حجي فكرا خصبا، وكانت نشاطاته وكتاباته متنوعة بتنوع قضايا المغرب الأدبية والفكرية والسياسية والاجتماعية من يجعله في طليعة الرواد الذين وضعوا أساس النهضة المغربية.